مجلة العلوم الإنسانية
SUST Journal of Humanities
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

الزار والكجـــور

(دراسة نظرية في إطار العلاقة بين السحر والدين)

د. رشا علي أحمد البارودي

مستخلص

هذا البحث يقوم على دراسة العلاقة بين السحر والدين من خلال نموذج معين للطقوس السحرية المتداولة بصورة واسعة في المجتمعات التقليدية السودانية ، وحيث أنه مع مرور الأزمان والعصور ارتبطت عادات (الزار والكجور) بفهم خاطئ جعل معه طقوس هذه العادات جزءاً من الدين في نظر اصحابها ، وأنه يرتبط بأشخاص قائمين عليه كما ترتبط الشعائر الدينية بشيخ أو إمام قائم بها . من هنا لزم توضيح هذه العلاقة بين الزار والكجور والدين على نحو ما هي في السودان . ويشتمل البحث على المحاور التالية:

تعريف السحر ، ارتباط السحر بالدين في طقوس العلاج والسيطرة على الظواهر الطبيعية ، السحر واختلاطه بالدين في السودان ، ظاهرتي الزار والكجور كنموذج لاختلاط السحر بالدين في السودان .

تم اجراء الدراسة وفق منهج تحليل المضمون .

Abstact

This research is to examine the relation between magic and religion , through the model of magical rituals which Diffuse frequently in traditional communities in Sudan . With the passage of time the rituals of habits (Zaar and Kojur) understood in the wrong as a part of the religious belief in view of owners , and it is associated with clerk like religion is associated with religious Sheikh or (Imam) based out. Here is necessary to clarify this relationship between religion and (zaar and kojur) as in Sudan on the following themes: The definition of Magic , link Magic religion in ritual treatment and control of natural phenomena , Magic and religion in Sudan, phenomena of (zaar and kojur)as a model for mixing Magic and religion in Sudan. The implementation of study according to content analysis method .

كلمات مفتاحية : المجتمع – الطقس – السبر – التكجير

المقدمة:-

تأتي أهمية البحث في مثل هذه الظواهر – بمثل "الزار والكجور" – في إطار البحث عن الأسباب التي تعوق نمو وتطور المجتمعات، فمثل هذه الظواهر تؤثر سلباً على اتخاذ الطرق الصحيحة لحل إشكالات المجتمع، ومما يزيد الإشكال سوءاً إعطاء مثل هذه الممارسات الصبغة الدينية.

ويهدف البحث إلى توضيح الممارسات السحرية التي ارتبطت بهذه الظواهر دون الانتباه إلى الأصول السحرية فيها وممارستها بحكم العادة، وإلى التنبيه على بعض الممارسات الاجتماعية السلبية المرتبطة بهذه الظواهر كالتبذير والتباهي والإلهاء عن استثمار الزمن في المفيد للفرد والمجتمع.

وقد كان الدافع الأساسي للبحث في هذا المجال هو قلة المادة العلمية المكتوبة في الزار والكجور كنماذج لاختلاط السحر بالدين، وبالتالي توجيه الانتباه إلي ضرورة البحث في هذه الظواهر نظريا وعمليا.

ما هو السحر:

السحر في اللغة أصله التمويه بالحيل والتخيل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء (القرطبي، ص 18).

وفي لسان العرب أن السحر عمل يتقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونة السحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى. قال الأزهري: واصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره (ابن منظور، مادة سحر، ص 1951)

وكلمة سحر في اللغة العربية يقابلها في اللغات الأوربية لفظتا Sorcery , Magic كما أن كلمة ساحر يقابلها لفظتا Sorcerers, Magician وتستخدم لفظة Sorcellerie لما يعرف بالسحر الأسود والذي مقصده أحداث الضرر (بدوي، 1993، ص 91).

والسحر غير الدين من حيث المعنى والدلالة، ففي لسان العرب الدين هو الحساب، والدين هو الطاعة وقد دنت له أي أطعته، والجمع أديان. يقال: وإن بكذا ديانة وتدين به فهو دين ومدين (ابن منظور، مادة دين، ص 1469).

ولفظه دين العربية لها معان مختلفة لكنها مرتبطة فيما بينها، فاللفظة مشتقة من فعل (دان) وأصله دين ومعناه أذل، استعبد، وحاسب. وتدل هذه الأفعال على علاقة بين طرفين يسمو أحدهما على الآخر.

وفي الحضارة الأوربية استخدمت لفظة (Religion) للدلالة على الدين، وأصل الكلمة لا تبني، لكن وقع خلاف في الرأي حول مصدر الاشتقاق، فهناك رأى يعود إلى ما قبل المسيحية يقول بأن لفظة Religio مشتقة من الفعل Relegate، وعندما يتعلق هذا الفعل بالسلوك الداخلي للإنسان فإنه يعني عودة على ما تم، التفكير والتبصر والاختلاء، وكان هذا السلوك يلازم شعائر العبادة. وهناك رأى آخر قال به بعض المؤلفين المسيحيين في القرون الأولى للمسيحية وهو أن اللفظة مشتقة من فعل Religare الذي يعني إعادة الربط بين البشر والإله (زيادة، ص 440، 441). بهذا يمكن القول أن الدين يختلف عن السحر من حيث أن الدين يتجه الاعتقاد فيه بصورة إرادية واعية نحو الله وبحسب التعاليم الواردة في الرسالة الإلهية المرسل بها رسول، أما السحر فيتجه الاعتقاد فيه نحو قدرة الساحر وبغير رسالة أو علم بالوسائط التي يستخدمها وربما خضع المسحور للساحر على نحو خرج عن الإرادة.

اختلاط السحر بالدين في طقوس العلاج والسيطرة على الظواهر الطبيعية:-

اهتم الإنسان منذ أقدم العصور بالبحث عن القواعد العامة التي يمكن من خلالها إخضاع الظواهر الطبيعية، وهذه القواعد تنقسم إلى قسمين هما: القواعد الصحيحة والتي تؤلف مجموعة العلوم التطبيقية التي تعرف بالفنون، وأما القواعد الزائفة فإنها تؤلف السحر (فريزر، 1998، ص 173) ، فقد حاول الإنسان توظيف السحر في الشفاء من الأمراض والوقاية منها وصنع المرض والموت (الماجدي، 1997، ص 94، 95). لكن جهل الإنسان بأسباب مرضه ومعاناته من ابتلاءات لا يجد لها تفسيراً علمياً جعله يربطها بالقوى الخفية وبالتالي بالسحر، فيرى البعض أن الاعتقاد بوجود هذه القوة الخفية بدأ مع تحول

الإنسان من المملكة الحيوانية، ثم أصبحت هذه القوة أكثر نشاطاً في المرحلة التي كان الإنسان فيها متوحشاً ثم أصبحت تتضاءل كلما دخل في أطوار الحضارة. فيعرف البعض السحر بأنه: "مجموعة من التقنيات التي تسمح للاختصاصي الذي تعلمها بأن يؤثر على العالم المرئي وغير المرئي بفضل سيطرته على القوة المختبئة".

بهذا يكون السحر هو اعتقاد وتقنية معاً، فهو يقوم على الاعتقاد بوجود القوة الخفية وعلى طقوس تقنية تنفذ ذلك الاعتقاد، وهذا ما يجعله عند البعض مختلفاً عن الدين الذي هو اعتقاد بقوى غيبية في الكون يجب الإيمان بها والخضوع لها. ويكمن ذلك الاختلاف في كيفية الاعتقاد في هذه القوى الخفية. ففي الدين توجد القوة الخفية خارج الإنسان مجسدة في كائنات أو كائن واحد إلهي، لكن في السحر توجد القوة الخفية داخل الإنسان الساحر وحتى إن وجدت خارجه فإنها تظل مرتبطة به هذا بالإضافة إلى أن الدين – فيما عدا الديانات السماوية – يتضمن المعتقد والطقس والأسطورة، بينما يتضمن السحر المعتقد والطقس فقط، كذلك نجد الساحر يأمر القوى الخفية بينما في الدين هي التي تأمر (المرجع السابق، ص 32، 33).

لكن في المقابل نجد أن السحر في كثير من الأحيان يختلط بالدين في الممارسات التي تهدف إلى الشفاء من الأمراض أو السيطرة على عناصر الطبيعة، ذلك أن الصبغة الدينية تكسب السحر في كثير من الأحيان مصداقية أكثر.

ومما يجعل السحر أكثر فاعلية كما يرى كلود ليفي شتراوس[*] (Claude levee Strauss) (1908– 2009) أن هناك ثلاثة مظاهر يكمل بعضها البعض وهي "اعتقاد الساحر بنجوع تقنياته، ثم اعتقاد المريض الذي يعالجه أو الضحية التي يعذبها بقدرة الساحر نفسه، وأخيراً ثقة الرأي الجماعي ومقتضياته التي تشكل في كل لحظة نوعاً من حقل جاذبية تتجدد داخله علاقة الساحر بالذين يسحرهم وتحتل مكانها فيه" (المرجع السابق، ص 32) .

وهذه المظاهر الثلاث تخلط بين التقنية والاعتقاد أي خلط بين العلم والدين في إطار الممارسة السحرية.

وبقول مبسط فأن السحر شكل المرحلة قبل العلم في محاولة التحكم والتعامل مع الظواهر الطبيعية ولما لم يكن يمتلك التفسير العلمي ربط نفسه بالدين لتدعيم وجوده. وقد ذهب البعض إلى القول أن السحرة أمثال صانع المطر والطبيب المشعوذ والساحر الزراعي والساحر المتنبئ، هؤلاء هم أسلاف الأطباء والجراحين والمخترعين في الوقت الحاضر (بدوي، ص 93).

السحر واختلاطه بالدين في السودان: –

إن المدخل الأساسي للسحر هو الرغبة في التداوي أو الحفاظ على النفس والممتلكات. وينقسم المجتمع السوداني في محاولة تحقيقه لهذه الرغبات إلى ثلاثة فئات:

1. مجموعة تعتقد في الدين فقط ويتم العلاج فيها من خلال الرقية، الدعاء، الطب النبوي، والعلاج بالأعشاب.
2. مجموعة تخلط الدين بالسحر، مثل العلاج بالقرآن الذي يخلط به بعض الطلاسم والأحجبة والبخرات.
3. مجموعة تمارس السحر وأن كان فيه أيضا بعض المعتقدات أو الطقوس الدينية مثل الزار، الكجور، قراءة الفنجان والكف، الدجل والشعوذة واستخدام العروق.

وكثير من هذه الطقوس تمارس بصورة يومية سواء كان اعتقاداً بفاعليتها أو نوع من العادة والتسلية مثل قراءة الفنجان والكف والودع.

[*] عالم اجتماع فرنسي.

أما العلاج بالعروق والدجل والشعوذة التي يمارسها من يعرفون (بالفقراء) وفي بعض الأحيان (بالشيوخ) فإنه يمارس للاعتقاد بقدرته على الشفاء. وفي بعض الأحيان يظهر فيه اختلاط الدين بالسحر عندما يمزج هذا النوع بالعلاج بالقرآن الكريم أو يمارس تحت غطاء العلاج بالقرآن. وفي الأحيان الأخرى يمارس كسحر واضح تتم الاستعانة فيه بالجن والشياطين.

وسنتناول فيما يلي ظاهرتي الزار والكجور باعتبارهما من أوضح الظواهر السحرية التي قد تتخللها معتقدات وطقوس دينية سواء كان هذا الدين دين سماوي أو وثني.

ظاهرتي الزار والكجور كنموذج لاختلاط السحر بالدين في السودان :-

أن ظاهرة الزار موجودة من قديم في المجتمع السوداني، وهي لم تختص تماماً بالرغم من تطور المجتمع وتحضره، بل استمرت حتى الآن. ونلاحظ أن وجود الزار يقل ويزيد على حسب الظروف الاجتماعية المرتبطة به والمؤدية إليه، فالزار في حقيقة أمره هو وسيلة لتلبية احتياجات معينة سواء كانت نفسية أو مادية وقد ترتبط بالجن حقيقة أو بأوهام نفسية أو ثقافة معينة.

والزار من الممارسات التي يظهر فيها الخلط بين السحر والدين بوضوح كما سيتضح لنا من الإشارات لبعض الممارسات والطقوس في الزار.

ويقصد بالزار مجموعة الأرواح الأخرى دون الجن والشياطين والتي حين تمس إنساناً ما فإنها تسبب له اختلالاً أو قلقاً نفسياً. ويعتبر الزار سبباً من أسباب المرض، والزار يعرف بأسماء مختلفة منها الدستور، أو الدساتير أو الأسياد والجماعة (سليمان، 1983، ص 71).

والزار ممارسة قديمة، وجدت في مجتمعات معينة في الشرق الأوسط وأفريقيا. ومنها السودان، وهناك روايات كثيرة حول أصل كلمة زار في السودان لكن الرواية التي تربطه بالدين هي الرواية التي تقول بأن أرواح الزار هي أرواح الجن إلى يملكها سيدنا سليمان عليه السلام، وحين بدت أمامه، أمرها بالهبوط إلى الأرض، ولكنها رفضت ذلك إلا إذا أطلق البخور، وضربت الطبول وقد عرفوا أنفسهم بأنهم يثيروا المتاعب ويسكنون أجساد الناس (كينون، 1991، ص 125).

ونلاحظ هنا التناقض في تصنيف أرواح الزار فالبعض يصنفها بأنها ارواح دون الجن، والبعض يرى انها من جن سيدنا سليمان، ويبدو أن التصنيف الأول نابع من الرغبة في زيادة الغموض حول هذه الأرواح باعتبار أن الجن والشياطين مخلوقات معروفة لدينا أو محاولة للفصل والتمييز بين هذه الأرواح والجن والشياطين باعتبارها أقل ضرراً ويمكن تهدئتها والتعايش معها.

كما نلاحظ في الحديث عن أصل كلمة زار أن البعض ينسبها إلى المفهوم الديني السماوي كما في قصة سيدنا سليمان والبعض الآخر ينسبها إلى مفهوم الدين الوثني فيرى أن كلمة زار مشتقة من الإله العالي للمملكة الكوشية الوثنية، ذلك أن هذا الإله انحط إلى نوع من الجن الضار (المرجع السابق، ص 126).

وتستخدم كلمة زار أو دستور أو ريح أحمر[*] بالتبادل، لتعني ممارسات الاستشفاء والطقوس المبنية على اعتقاد وجود قوى أو أرواح تحل بأجساد الناس، ثم تطلب من خلالهم طلبات معينة، وهناك أعراض معينة لحلول هذه الأرواح في الإنسان، تظهر في شكل أمراض نفسية مثل: الاكتئاب، والقلق، والشعور بالاضطهاد، أو الصداع النصفي، وأمراض عضوية مثل: النزف، والإجهاض، والحميات.

[*] في مقابل الريح الأسود والذي يعتبر من الجن الضار.

ويتدرج علاج الزار من مجرد استنشاق لبخور الزار إلى إقامة حلقة الزار لاسترضاء الأرواح بالرقص والغناء والذبائح (المرجع السابق، ص 124)، وغيرها من الطلبات التي تحددها هذه الأرواح من خلال المريض أو شيخه الزار. ويقال إنه من خلال تلبية هذه الطلبات يشفى المريض تماماً وتغادره الأرواح، لكن في الغالب هذه الطلبات من أجل تهدئة الأرواح وتسكين أعراض المرض لكن هذه الأرواح لا تغادر تماماً.

ويبدو أن عدم وجود تفسير للأمراض وبالذات النفسية منها والعصبية هو ما يجعل الناس يلجئون إلى ربطها بالقوى الخفية والغامضة. فالإلهة والقوى السحرية والعين الشريرة ونظام المحاذير والأرواح الشريرة تعتبر أسباباً للمرض، فالمرض لا يعزى للظواهر الطبيعية، لذلك كان الطب عند الأمم القديمة جزءاً من الدين والسحر واستمرت هذه الممارسة لدى البعض حتى عصرنا الحالي (سليمان، ص 49، 50)، ومن ضمن هذه الممارسات الزار.

وممارسات الزار هذه تشكل ما يعرف بمجتمع الزار، ولكلمة مجتمع نظام عبادة أو ولاء لأرواح أو لأشياء، وتشمل مشاهدات وطقوس ووسائل أخرى للمخاطبة أو العبادة تعمل الأرواح من خلالها على إنجاز الغايات المنشودة (كينون، ص 124).

وهناك عدة أسباب تؤدي إلى ممارسة الزار والراصد لهذه الأسباب يجد أنها تتكرر في كثير من الأزمان ومختلف المجتمعات لذلك لم تختف ظاهرة الزار من المجتمع السوداني تماماً. ويمكن تلخيص هذه الأسباب في الآتي:

1. إمكانية علاج الزار للأمراض النفسية التي نادراً ما يتيسر علاجها بطرق أخرى في السودان وذلك لأن العلاج النفسي يرتبط بالجنون.
2. اعتقاد الناس في القوى الغيبية فيلجئون في العلاج إلى الفكي أو شيخه الزار.
3. إيمان كثير من الناس بمقدرة القوى الخفية بإصابة الإنسان بالمرض، خاصة الأمراض النفسية.
4. الظروف الاجتماعية المحيطة، فمن يعيش في مجتمع تنتشر فيه ممارسة الزار أو له أقرباء مارسوا الزار يمكن أن يكون أكثر قابلية لممارسة الزار.
5. كثرة ارتياد حلقات الزار.
6. المشكلات الأسرية وذلك من خلال توتر العلاقات سواء في الأسرة الصغيرة أو الأسرة الكبيرة.
7. الرغبة في الزواج والإنجاب.
8. الحالة المادية سلباً أو إيجاباً فالمرأة الفقيرة تحاول أن تلبي حاجاتها من خلال إدعاء الإصابة بالزار والمرأة الثرية تحاول أن تعرض مدى ثرائها من خلال إقامة حفلات الزار.
9. محاولة النساء المسنات لفت أنظار أقربائهن من خلال المرض والزار وتبرير طلبهن للمال.
10. عدم احتمال بعض النساء للعادات الاجتماعية مثل الحداد، فيكون عدم التزامها بهذه العادة من خلال الاعتذار بمرض الزار (المرجع السابق، ص 136 – 144).
11. الجهل وضعف الإيمان ذلك أنه في بعض الأحيان يمارس نتيجة للجهل وعدم الوعي والإدراك أي يؤخذ كعادة أو طريقة للعلاج مسلم بها، وفي بعض الأحيان يمارس بين فئات من المثقفين فيكون السبب هو ضعف الإيمان.

وفي حقيقة الأمر أن الزار ليس له علاقة بالدين الإسلامي إلا أن من يعتقدون به يحاولون إكسابه صبغة دينية لتبرير ممارسته ويظهر ذلك في عدة نقاط:

1. ربط الزار بقصة جن سيدنا سليمان (عليه السلام).

2. يبدأ حفل الزار ويختتم بالصلاة على النبي ﷺ فيقال في البدء "أول ما ابتدينا على النبي صلينا" ويختتم "بألف صلاة على محمد ﷺ".
3. أن عدد كبير من خيوط الزار(*) متصل برجال الدين، ويعرفوا بالإشراف أو الدراويش، كالشيخ عبد القادر والسيد البدوي والسيد الرفاعي والشيخ الكباشي وغيرهم.
4. رجال الدين المعروفين بالفقراء والذين هم أقرب إلى ممارسة الدجل والشعوذة بجانب العلاج بالقرآن، عندما يعجزون عن علاج المرضى يحولوهم إلى شيخات الزار مما يضفي على شيخات الزار صبغة دينية لدى عامة الناس.
5. يزعم البعض أن الجن الذي يتلبسهم هو جن مسلم.
6. نلاحظ أيضاً أن من أنواع حفلات الزار إن هناك نوع يعرف بالحفل السنوي ويقام في شهر رجب ذلك بمناسبة انتهاء العام لنشاط الزار، ذلك أنه في شعبان ورمضان لا يكون هناك حفلات زار. فأرواح الجن والشياطين تكون مقيدة في رمضان.

ويمكن استنباط حكم الدين الإسلامي في ظاهرة الزار من خلال التركيز على نقاط معينة في هذه الظاهرة:

اولا: أن الزار ينطبق عليه حكم الدين على السحر ذلك أن الزار ينطوي على كثير من الطقوس السحرية مثل تقديم القربان لغير الله سبحانه وتعالى وغيرها من الطقوس.

ثانيا: دخول الزار في دائرة الشرك وذلك من خلال الاستعانة بغير الله سبحانه وتعالى، فاغلب محترفي الزار يستعينون بالجن. قال تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) (الجن : 6).

وهل قدر الإنسان الله حق قدره عندما شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء؟ كما قال تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) (يس: 60- 61).

وقوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنعام: 100).

ومن صور اتخاذ الجن شركاء: طاعتهم، فبطاعتهم يجعلون شركاء لله إذ المطاع الحق هو الله تعالى:

ثالثا: هذه النقاط فهي دخول الزار في باب التداوي بالحرام، فعن أم الدرداء رضي الله عنها أن النبي ﷺ: "إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تداووا بحرام" رواه ابو داود والطبراني.

ونجد أن كثير من طقوس الزار هي ممارسات محرمة مثل الذبح والقربان للجن دون الله تعالى وعدم ذكر اسم الله على الذبيحة وشرب الدم والخمور (الجزائري، 2008، ص 478).

رابعاً: يدخل الزار في بعض الأحيان في باب معصية الزوجة لزوجها وخيانته، ذلك أنه قد يرفض الرجل ممارسة زوجته لطقوس الزار فلتلجأ إلى ممارسته دون إذنه وأخذ المال لإقامة حفلات الزار دون إذنه وهذا يعد من باب خيانة الأمانة. قال ﷺ: "خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا قسمت عليها إبرتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها وما لك" أخرجه النسائي.

خامساً: يرتبط الزار ببعض العادات الوثنية مثل الذهاب إلى "البحر" النيل وهو عادة فرعونية وثنية. هذا بالإضافة إلى الاعتقاد في الرقم سبعة فنجد ذبح الذبائح لمدة سبعة أيام في النوع المسمى "الكرسي"، والبخور مكون من سبعة أصناف

* الخيط: هو أغنية الزار.

"مسبع" والقفز على الذبيحة "القربان" يكون سبعة مرات، وحمل المرأة المريضة للسكين يكون لمدة سبعة أيام، وفي المقابل نجد أن الرقم سبعة له رمزية سحرية عند ممارسي السحر منذ القرون الوسطى.

ويمكن أن نخلص إلى أن الزار من الظواهر الاجتماعية التي تمتزج فيها الطقوس الدينية بالطقوس السحرية، دون الإدراك لارتباط هذه الطقوس بالسحر فكثير من يمارسون الزار يعتقدون في هذه الطقوس دون محاولة لاكتشاف مصدرها.

أما النموذج الثاني فهو الكجور. والكجور كلمة روحية تستخدم في اللهجات المحلية في السودان، وبالتحديد في منطقة جبال النوبة بجنوب كردفان (كافي، ص 9)، وهذا اللفظ معروف في كل السودان، وكلمة كجور مأخوذة من جبال النوبة الشرقية من الفعل "كج" بمعنى "علق" وله معنى آخر وهو العابد المتفقه وهناك معان أخرى (المرجع السابق، ص 31).

تعتبر الالهة قوى، وفي حالة الانجذاب تتقمص هذه القوة الشخص وتزيد من قوته حتى يعتبر المجذوب هو نفسه هذه القوة، ومن ثم يتصرف كقوة كونية ويقوى وجوده وقوته الحيوية عن طريق الاتصال بالقوى التي تسمو على البشر ويمارس الاتصال بتلك القوى.

وتوجد في بلاد النوبة كلمات مثل مصلا، ابرادي بيل، روما ديولا وهي تعني أسماء الذات العليا أي أسماء الله عندهم، لكن هناك من يرى أن الذات العليا ليست مقابلة لكلمة الله في المفهوم العربي الإسلامي (المرجع السابق، ص 33).

الكجور هو الوسيط الروحي أو الشخصي الذي تقمصته الأرواح وتعلقت به والحديث عنه لا يكون باعتباره شخصاً مفرداً، بل باعتباره الإرادة العظمى التي تنظم حياة الأفراد في جانبي العقيدة والعادة (المرجع السابق، ص 9).

والكجور لا يعني الإنسان بالتحديد بل هو يعني الروح أو القدرة الخارقة التي تتقمص هذا الإنسان، وهذا شبيه بالفكرة الجوهرية التي يقوم عليها السحر وهي الاعتقاد بوجود قوة خفية في الإنسان (الساحر بشكل خاص) اعتقاداً يجعله، باكتشافها والسيطرة عليها متمكناً من التحكم في الكائنات والظواهر الطبيعية (الماجدي، ص 32).

هذه النقطة تجعل الكجور أقرب من الزار إلى السحر فالكجور يدعى التحكم في ظواهر الطبيعة بينما الاعتقاد في الزار يقتصر على التعامل مع الأرواح.

فالكجور دائماً ما يكون مستمداً من اسم الرب للدلالة على أنه شخص ذو أصل الهي فقولهم (Ta– Musala) بمعني(الله)، فالتاء هنا: Ta أداة وصل لتوضيح الانتساب الروحي، أي أن الكجور له قدرة صغرى آتية من نفس القوة التي انتسب إليها في الله (Musala). وفي بعض الأحيان لا ينتسب الاسم بأداة وصل (تا) فيكون اسم الإلة الواحد (بيل) مثلاً ويكون الكجور (بيل).

وبما أن الكجور ليس بالشخص الآدمي، بل هي القدرة أو الروح المتجسدة فإذن القدرة (بيل) هي قدرة مأخوذة أو نابعة من ذاتها الكبرى (بيل) بمعنى أن (بيل) الثانية شابهت الأولى في شيء. والجماعات الأفريقية، تعرف الإله على أن قوة، وهذه القوى ليست مرئية ولكنا محسوسة عندما ينتج منها فعل شيء مفيد. ولذا عندما نقول (مصلا) أو (بيل) أي الله مجردة فإنه يفهم من السياق هل المقصود هو القوة الكبرى التي جسدت العالم أم الصغرى التي هي في الكجور.

بهذا يكون الكجور كائن سماوي يفعل الخير ولا يضر الناس، وهو ليس بساحر. ففي جبال النوبة يفرقون بين الكجور والسحرة، والكجور يبطل سحر الساحر ويكشفه، لكنه لا يمارس السحر ليسحر الناس (المرجع السابق، ص 35 – 38). لكن في حقيقة الامر فإن ابطال سحر الساحر، والطقوس الاخري التي يمارسها الكجور هي طقوس سحرية بغض النظر عما أذا كان يمارسها لضرر الناس أو لخدمتهم.

للكجور أربعة مراحل للعبور يجب أن يؤديها من تتقمصه الروح حتى يصير كجوراً بعد الطقس الثاني. ويستطيع الكجور بواسطة هذه الروح أن يتنبأ بالمستقبل، ويأتي بالخير ويدرأ الشر. ويختص كل روح في ميدان معين كالحرب والزرع والانجاب...الخ، ويتقدم الناس إلى هذه الأرواح بالقربان والهدايا.

والطقوس التي تمارس في الكجور تشبه إلى حد كبير الطقس السحري الذي يقوم على قوة لساحر في تحويل الشبه إلى حقيقة، ويتطلب هذا حركات وأفعال يقوم بها الساحر لكي يوحي بذلك، فكان السحرة يقومون بتقليد الطبيعة وتمثيلها، مثل صب الماء لإسقاط المطر وإحراق الصور لإلحاق الأذى بأصحابها، وكانت تلك المواد تختار لخواصها الطبيعية أو لفوائد مزعومة ومن تلك المواد عقاقير قوية تحدث انفعالات في نفس من يستعملها كالوسوسة والتخيلات البصرية، وتهيجات وتغيرات في الشخصية، يفسرها المشاهدون بأنها نتيجة لحلول القوى أو الأرواح بالساحر، وكائن معرفة هذه العقاقير وطرق تحضيرها تحاط بالسرية (المرجع السابق، 37).

لهذا السبب يربط البعض السحر بالعلم ذلك أنه علم بخصائص الأشياء الطبيعية وطرق الاستفادة منها ولهذا السبب أيضاً نجد أن السحر والكجور يورث ويستمر في نفس الأسرة حتى يتم الحفاظ على سرية هذه المعرفة وإيهام الناس بارتباطها بقوة خفية.

أما الآن فيقتصر دور الكجور على الصعيد الروحي بعد أن كان يجمع بين السلطة الروحية والسلطة السياسية وحتى هذه السلطة الروحية تقلصت بعد انتشار الإسلام في جبال النوبة، وأصبح من يعتقدون به يشبه اعتقادهم اعتقاد المسلمين في شمال السودان في الأولياء والصالحين (نصر، 1969، ص 40 – 44).

في الحديث عن الكجور يجب التعرف على مصطلح مهم وهو مصطلح (السبر)، فالملاحظ أن كلمة (سبر) تستخدم في قبائل جبال النوبة في بعض الأحيان للدلالة على طقوس العبور بالنسبة للكجور. وفي أحيان أخرى تستخدم الدلالة على الأعمال التي يمارسها الكجور لتنظيم أحوال قبيلته وبالنسبة للسبر عندما يقصد به طقوس العبور فإننا نجد أن هناك أربعة اسبار يؤديها من تتقمصه الروح ليعمد بعد السبر الثاني ويطلق عليه لفظ كجور.

وتقمص الروح في معظمه يكون بالوراثة فالروح تظل في بيت واحد تنتقل من الجد وإلى الأحفاد إلا إذا أسيئت معاملتها. وكذلك كان اختيار الساحر يتم بتأني وكان يخضع لقواعد دقيقة، فكان يختار المرشح منذ طفولته على أساس أن يكون من سلالة الساحر، إذا تقترن أفلاك مناسبة ساعة ميلاده، أو أن يحمل بعض الشارات على جسمه، أو أن يصاب بأحد الأمراض المقدسة، كالصرع والهستيريا، أو أن تكون أعجوبة قد وقعت له في حياته، أو أن يكون موضع حلم (الماجدي، ص 38).

وهذا يشبه الأعراض التي تظهر على الكجور حيث يرى أحلاما مخيفة وقد تصيبه وهو صغير أعراض الصرع و البكاء المرير والهلوسة (كافي، ص 41).

وهذه الاسبار هي:

السبر الأول: يعرف برمي الاردان ويقتصر على اقرباء الكجور المرتقب، وتذبح فيه القرابين، وتجمع الهدايا (المرجع السابق، ص 44 – 46) التي تحفظ لاستخدامها في الاسبار اللاحقة.

السبر الثاني: يعرف بدخول الراكوبة، وهو أهم الأسبار الأربعة ويؤديه الكجور في سن متأخرة فيصل بعده الي مرحلة الكهنوتية، وتقوى الصلة بينه وبين الروح. ويدخل الكجور في هذا السبر في خلوة لمدة أربعة عشر يوماً تتم فيها الكثير من الطقوس.

السبر الثالث: يعرف بخبط المعوقات، ويقام هذا السبر لإزالة المعوقات التي تمنع الكجور من استلام رسائل الروح بصورة صحيحة.

السبر الرابع: يعرف بكدملا وتعني الدجاج، وهو سبر بسيط ويقام بعد أربعة أعوام من السبر الثالث وأيضاً تذبح فيه الذبائح ويتوقع تقمص الروح للكجور والحديث بواسطته (المرجع السابق، ص 47، 59).

أما عندما يقصد بالسبر الأعمال التي يقوم بها الكجور من أجل تنظيم حياة مجتمعه فإنه في حقيقة الأمر يكون أيضاً طقساً لكنه طقس منظم لحياة الناس بينما كانت الأسبار الأربعة السابقة هي طقوس لعبور الكجور نفسه.

ويعتبر السبر من أهم أعمال الكجور حيث يقوم بتنظيم حياة مجتمعه على نحو ما يعرف بالتكجير أو التسبير وهي مهمته الأساسية، فعليه أن يحافظ على حياته ويكجر أو يسبر للشفاء ويكجر للمطر. وقد يظهر اختلاف بسيط بين الكلمتين، فعندما يقال كجرني يقصد عالجني علاجاً روحياً، أما عندما يقال سبرني فيقصد احمني (المرجع السابق، ص 61).

ويمكن التمييز هنا بين مهمين للكجور هما: مهمة علاجية وهي الكجور أو التكجير، ومهمة وقائية وهي السبر أو التسبير. فالمهمة العلاجية لا يقوم بها إلا الكجور نفسه من خلال طقوس أو حفلات الكجور، أما السبر فإنه يصبح نظاماً تقوم عليه حياة الناس. فإلمام الناس بهذه الثقافة يجعلهم يدركون بعض مفاهيمها ومعتقداتها دون الرجوع إلى الكجور، لكن يظل النظام الذي تقوم عليه هذه الثقافة والعادات تابع له (المرجع السابق، ص 62، 63). وهناك ثلاث مجموعات أساسية للأسبار:

1. اسبار التأهيل والانتقال الاجتماعي للفرد مثل سبر الختان، سبر الجير، سبر الكمبلا، سبر الفصاد "الوشم". وهذا النوع لا يكون فيه دور واضح للكجور.
2. السبر الاقتصادي: أيضا في هذا السبر قد لا يكون دور الكجور وارداً شخصياً، مثل سبر المطر وغيره.
3. الاسبار الشخصية: ويمتد نشاط الكجور إلى هذه الطقوس والاسبار من خلال احتفاظ الناس بشيء من طلاسمه، كربط خيط حول أسفل الأرجل أو الأيدي، ويوضح هذا أنه تحت أمرة كجور معين أو قد يخلع الشخص سنتيه لاعتقاد كجوري بأن لكل شخص حي فرد آخر في السماء صديق له، فإن أراد الرجل أن يبقى مع زوجته أو خليلته التي بالأرض فلا بد له من خلع سنتيه حتى لا نتعرف عليه التي بالسماء. وهناك سبر في حالة دم الحيض حيث تبتعد المرأة عن العمل وأعداد الطعام، ولا تسلم باليد ولا ترد الماء وتسير في طريق بعيدة عن الرجال، وغيرها من المحظورات (المرجع السابق، ص 69 –93).

ومن خلال هذه الاسبار يمكن أن نلحظ بعض الملامح لاختلاط السحر بالدين، بل أننا نجد بعض الأفكار المستمدة من الديانات السماوية مثل فكرة الحور العين والقرين في الدين الإسلامي وفكرة نجاسة المرأة اليهودية، وإذا كانت هذه الديانات عرفت مؤخراً في مناطق ممارسة الكجور فقد تكون هذه المعتقدات ظهرت لاحقاً كتفسير لبعض الاسبار.

وللتوضيح أكثر سنحاول أن نجري مقارنة بين الزار والكجور لنرى مدى اختلاط السحر بالدين في مثل هذه الممارسات من خلال بعض الاختلافات والاتفاقات بين الاثنين. ففي مجال الاختلافات نجد:

1. أن الكجور أقرب إلى الديانة الوثنية الروحية وتظهر فيها بعض الممارسات السحرية بينما الزار بعيد كل البعد عن فكرة الدين، فهو عبارة عن طقس علاجي مرتبط بالجن والأرواح وتوجد فيه أيضاً ممارسات سحرية، فالكجور أقرب إلى العقيدة الدينية والزار طقس علاجي.
2. أن فكرة الكجور تعتمد على روح واحدة ومهمة هذه الروح هي العلاج من الأمراض وجلب الخير ودرء الشر. بينما فكرة الزار تعتمد على عدد من الأرواح والجن وهي التي تصيب الإنسان بالمرض ويشفى من خلال تهدئتها. والغريب

في الأمر أن من يعتقدون في الكجور لا يعدونه ساحراً. بل هو من يقف ضد السحرة الذي يعتبرونهم لا يفعلون شيء سوى الضرر والشر للناس. وبالرغم من أن الكجور قد يستخدم نفس أساليب الساحر لصده إلا أنه لا يعد ساحراً. ويبدو أن هذه الفكرة ناجمة من ارتباط السحر بالشر فقط.

3. أن الزار لا يتدخل في الظواهر الطبيعية بينما الكجور يستخدم للتحكم في هذه الظواهر مثل جلب المطر وغيره، وقد يكون التفسير هنا أن أغلب من يمارسون الزار يؤمنون بديانة سماوية وبالتالي يعلمون أن الله هو من يتحكم في الظواهر الطبيعية، وليس لأرواح الزار سوى الإصابة بالمرض أو جلب الأموال أو غيرها من الأشياء التي في نطاق مقدرتهم والتي تبدو خارقة بالنسبة لمقدرات الإنسان بينما الكجور متقمص بروح الإلهة وفي مقدوره فعل كل شيء.
4. الكجور متعلق بالإنسان دائماً "متصل به" أو متقمصة فكلمة "كج" المشتق منها لفظ كجور تعني علق اي تعلق بالشخص، أما "زار" المشتق من "الزيارة" أو زار الروح الإنسان فإنه يكون اتصال وقتي حين يزوره من وقت لآخر. وتفسر الزيارة عندها بلحظات هيجان الأرواح، ذلك أن الاعتقاد في الزار أيضاً أن الأرواح لا تفارق الإنسان تماماً وإنما تهدأ عندما تلبي طلباتها.
5. الكجور نظام اجتماعي ينظم حياة الناس من خلال طقوس شخصية واقتصادية واجتماعية، بينما الزار هو نظام متعلق ببعض الأفراد فقط في المجتمع وبالتحديد في جوانب العلاج النفسي.

أما أوجه الشبه بين الزار والكجور فيمكن التعرف إليها مما يلي :-

1. أن الزار والكجور كلاهما توجد فيه الكثير من الممارسات السحرية التي ترتبط بالدين مثل فكرة القوى الخفية والقربان وإقامة الحفل للأرواح.
2. قيام الزار والكجور على فكرة المحرمات "التابو" هي أيضا فكرة موجودة في السحر وفي الدين مع الاختلاف في مبررات تشريعها وكيفية تطبيقها.
3. وجود شخصية واحدة أساسية في الزار والكجور وتكتسب هذه الشخصية وضعاً اجتماعياً مميزاً فيه شيء من التقديس مثل "شيخه الزار" و"الكجور".
4. وجود فكرة الاسبار المنظمة للحياة الاجتماعية دون أن يقوم بها الكجور أو شيخه الزار بأنفسهم مثل البخور والقهوة في أيام محددة من الأسبوع ولبس أزياء معينة في الزار ومثل ارتداء خيط في اليد أو كسر الأسنان في الكجور.

أن اعتقاد الناس في وجود قوى خفيه تؤثر على حياتهم وهم في حالة محاولة لإرضائها أو في حالة خوف منها وربطها ببعض الأمراض والإعراض التي لا يجد لها تفسيراً، هو الذي جعلهم يلجئون إلى ممارسة الزار والكجور، ومرد هذا كله هو البعد عن الدين الصحيح الذي ينظم حياة الفرد كلها ويبرر ويفسر له ما يصيبه من خير أو شر بصورة علمية وأن كل شيء سواء عرفنا تفسيره العلمي أم لم نعلمه فهو نابع من إرادة الله حتى ما يفعله الجن والشياطين، فإذا استعان الإنسان بالله سبحانه وتعالى وتوكل عليه لا يكون متنازعاً بين إرضاء القوى الخفية والخوف منها فهي مجرد وسائط خاطئة لا تفيد الإنسان سواء كان من خلال الزار أو الكجور.

وبالتالي يمكن أن نخلص إلى أن حكم الدين الإسلامي في الكجور هو نفس الرأي في الزار وفي السحر ذلك لما في الكجور من ادعاء وسائط وشرك بالله وممارسات سحرية تتعارض مع الدين، لما فيه من ضرر للإنسان من خلال تضليله وتغييب وعيه وصرفه عن البحث عن الأسباب الحقيقية لمرضه ومشاكله النفسية والاجتماعية وحلها بالأساليب العلمية الصحيحة. فالدين الإسلامي يرفض الجهل وممارسات الجاهلية.

الخاتمة والتوصيات :-

من خلال هذا البحث نخلص إلى أن ظاهرتي الزار والكجور تمثل خطراً على المجتمع السوداني ذلك أنها مازالت تمارس وتسير كوسيلة علاج جنباً إلى جنب مع علوم الطب والذي يزيد الأمر خطورة هو اعتقاد البعض فيهما بصورة أقوى من الاعتقاد في قدرة الطب على الشفاء وذلك للصبغة الدينية التي ترتبط بهما.

وبالتالي لا بد من إجراء المزيد من الدراسات في هذا المجال مع تقديم بعض الحلول لهذه الإشكالات، ذلك أن الملاحظ وجود عدد قليل جداً من الدراسات حول ظاهرة الزار وعدد محدود حول ظاهرة الكجور كما أن كثير من هذه الدراسات اكتفت بالسرد فقط دون التحليل لهذه الظواهر للوصول لأسبابها ومحاولة تقديم مخطط عمل للحد منها.

ومحاولة التركيز على توعية المجتمع عن هذه الممارسات ذلك أن القوانين في مثل هذه الحالات قد لا تكون كافية، لأنها تحاط بالكثير من السرية ولا تجرى في أماكن عامة. وقد تأخذ هذه التوعية اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: التوعية بأهمية العلوم الطبية في علاج الأمراض واثبات كفاءتها وتوفيرها لكل قطاعات المجتمع، وربط أهمية التداوي الصحيح بالدين، قال ﷺ: "تداووا ولا تداووا بحرام".

الاتجاه الثاني: تبيين الحرمة الدينية لمثل ممارسات كالزار والكجور، ذلك أن الكثير يمارسها باعتبارها عادة لا تعارض الدين.

المراجع

1. ابن القيم الجوزيه- الداء والدواء- دار التقوى القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م.
2. ابن منظور - لسان العرب- دار المعارف، القاهرة.
3. أبي بكر الجزائري- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير- المكتبة العصرية، بيروت، 1459هـ - 2008م.
4. أحمد عبد الرحيم نصر- الكجور عند النيمانج- مجلة الدراسات السودانية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد الأول، 1969م.
5. السيد محمد بدوي، المذاهب الاجتماعية- دراسة في الأخلاق- دار المعرفة الجامعية، 1993م.
6. الصادق أحمد سليمان- الحروز في السودان، أصولها ووظائفها واغراضها- بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، شعبة الفولكلور، 1983م.
7. المرأة السودانية- صياغة سوزان كينون، ترجمة سلمى علي عبد الله، بحث تكميلي لدرجة ماجستير الآداب في الترجمة والتعريب، مأخوذة من رسائل ماجستير بالدراسات العليا جامعة الخرطوم، 1991م.
8. جيمس فريزر- الغصن الذهبي" دراسة في السحر والدين"- ترجمة إشراف أحمد أبو زيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998م.
9. خزعل الماجدي- بخور الالهة، دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين- الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1998م.
10. محمد بن احمد الأنصاري القرطبي- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي).
11. محمد هارون كافي، الكجور، دور العرافة الأفريقية في جبال النوبة- مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم.
12. معن زيادة- الموسوعة الفلسفية العربية- معهد الإنماء العربي.